وصايا ونصائح إلى الخطباء وطلبة الحوزة الشريفة

نص الكلمة التي كتبها الشيخ محمد اليعقوبي جواباً على سؤال وجهه إليه احد الخطباء المخلصين

وصايا ونصائح الى الخطباء وطلبة الحوزة الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الخلق أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

اغتنم هذه الفرصة وهي قرب حلول شهر محرم الحرام حيث ينطلق الخطباء والمبلغون (أيدهم الله تعالى) إلى أصقاع الأرض ليرشدوا الناس ويعظوهم ويعلموهم شريعة سيد المرسلين مستفيدين من العاطفة الجياشة والروح الايمانية الوثابة التي زرعتها في النفوس ذكرى أبي عبد الله الحسين (ع) وما زالت وستبقى ان شاء الله تعالى تمد البشر على اختلاف اتجاهاتهم ومشاريهم بالهمة الكبيرة والإخلاص والتضحية من أل المبدأ الحق.

أغتنم هذه الفرصة لان غضاعة الفرصة غصة وفي الحديث: (اغتنموا الفرص فانها تمر مر السحاب) فلنجعل هذه الفرصة نقطةانطلاق للحديث عن دور الخطباء والمبلغين ومقومات شخصيتهم وما ينبغي ان تتوفر فيهم من مؤهلات وقابليات وإسداء بعض الوصايا والنصائح والتوجيهات مما خبر هذا العبد القاصر لتتحد جهودنا وتتكامل في إعلاء كلمة الله سبحانه وإرساء توحيده ولدحض كلمة الكفر والنفاق وإزهاقها ولا اقصد بالخطيب خطيب المنبر الحسيني فقط وان كلان هو ابرز المصاديق وانما اقصد كل من يتصدي لايصال أي الشريعة وصوت الحوزة مشفاهة ومباشرة الى المجتمع سواء كان خطيب جماعة أو جمعة أو من خلال الندوات والمحاضرات والحوارات فكل هذه قنوات مهمة للاتصال بالأمة.

والمنبر الذي يرتقيه أي واحد من هؤلاء والجمهور الذي يستمع اليه أمانة عنده وهو مسؤول عن رعايتها واداء حقها فـ(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) فيحرم تصدي غير أهله غليه وإذا لم يكن كفؤاً قادراً على اداء الأمانة فانه خائن لها وسارق لوقت هؤالاء الجلالسين وجهد القائمين بالمجلس وأموال الباذلين.

والمنبر الحسيني من مختصات الشيعة سنّه لهم الأئمة الأطهار (ع) وكان له الدور المهم في حفظ كيان المذهب ويحمل مقومات نجاحه في نفسه ببضم الفكر الى العاطفة والولاء ويلبي كل حاجة إذ ليس له نمط معين ولا اختصاص واحد حتى يتحدد به وما يزيده نجاحاً ان الجماهير هي التي تختار

خطيبها.

وليس يفرض عليها فرضاً فيكون صوتهم المعبر عن رأيهم وآمالهم وآلامهم فلا عجب أن أقبلت الجماهير بكلها على المجالس وبذلت الغالي والنفيس من أجل اقامتها وانجاحها وانك لتكبر هذه المهمة فيهم حيث يجتمع الآلاف بل مئات الآلاف من دون سابق اعداد ولا اعلام بينما تجهد الدول على ان تقيم مؤتمراً يضم العشرات فقط ولا تنجح فيها مع سعة البذل والاعداد لا نجاحه.

من هنا ينبغي ان ندرك اهمية دور الخطباء في المجتمع وعظيم مسؤوليتهم فليس دورهم ابكاء الناس واستدرار دموعهم وان كان هذا مهماً ولكن الأهم ايصال الفكر اليهم لان مشكلتنا الرئيسية وعدونا الأول هو الجهل، الجهل بعقائدنا ومبادئنا واخلاقنا وشرائعنا.

ولا ينفك الحديث عن شخصية لخطيب والمبلغ عن الحديث عن طالب العلوم الدينية لأن الخطيب لا يكون ناجحاً ومتمكناً من اداء دوره في المجتمع إلا إذا تربى في احضان الحوزة العلمية ونهل من نهر علومها الصافي كما ان الحوزوي لا يتمكن من اداء رسالته كما ينبغي له إلا حينما يكون خطيباً ويواجه الجمهور بشكل مباشر فكما انه من النقص في الخطيب ألا يكون حوزوياً فكذلك نقص في الحوزوي ان لايكون خطيباً، وسيأتي مزيد ايضاح لهذه النقطة ان شاء الله تعالى.

وقد جعلت الكلام من خلال نقاط تمثل كل نقطة جهة من جهات البحث:

مقومات شخصية الخطباء وطلبة العلوم الدينية

النقطة الأولى: وأول نقطة في هذا المجال هو: الحديث عن مقومات الخطيب و الحوزوي عموماً إذ يجب ان تشمل التربية الحوزوية ثلاثة اتجاهات متازية وتسير في عرض واحد واي تقدم في أحدها على حساب الأخرى يؤدي الى خللٍ في توازن الشخصية وتقصير في السعي لتحقيق الهدف المنشود الذي هو رضاالله سبحانه و العمل على نشر شريعة سيد المرسلين (ص) والمساعدة على هداية المجتمع وصلاحه و اية غفلة عن الهدف أو عدم الوضوح فيه تعني الانحراف والابتعاد عن الحق فلا بد من ملاحظة الهدف دائماً (وهو المعبر عنه بذكر الله تعالى على كل حال) وتدقيق العمل

مع موازينه فما كان من العمل يصب فيه فاستمر فيه وازدد منه وما ليس كذلك فاجتنبه (حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا) والاتجاهات الثلاثة هي:

الأول: الاتجاه العلمي: ونعني به التزود من العلوم والمعارف الاسلامية وعدم الاقتصار على ما اعتادت الحوزة في الإعصار لمتأخرة في التركيز عليه كالفقه والاصول ومقدماتهما من المنطق وعلوم العربية بل لابد من اضافة العلوم الاخرى التي لا تقل أهمية عنها كالفلسفة والعقائد والتاريخ والرجال والتفسير وعلوم القرآن ويكون الحال اكمل لو اضاف اليها ثقافة عامة من العلوم العصرية كالفيزياء والكيمياء والرياضيات و الفلك وعلوم الحياة فانها كلها يمكن تسخيرها لخدمة الهدف (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق).[1]

واقل ما يشترط في الخطيب والمبلغ اكمال دورة فقهية كالشرائغ بإتقان ومعرفة بالقواعد المبتنية عليها ليستطيع التمييز بين فروع المسائل وتطبيق بعضها على بعضها ويتطلب ذلك اكمال دورة أصولية مبسطة كأصول المظفر أو الحلقة الثانية وقس على هذا المستوى من الكتب في المجالات الأخرى ويمكن طلب التوجيه من الفضلاء في هذا المجال ولا يجب التعبد بالمناهج القديمة فقد استحدثت كتب اعمق من حيث المادة واوضح في العبارة ومحتوية على مطالب الكتب القديمة مع ما اضيف اليها من تراكمات علمية فيالاجيال المتأخرة عنها وتفصيل ذلك في موضع آخر.

الثاني: الاتجاه الأخلاقي: فلابد من تهذيب النفس والسعي إلى تكميلها بالفضائل وتطهيرها من الرذائل وتوطيد الصلة بالله تعالى ومراقبته في كل صغيرة وكبيرة ويكون ذلك قبل التصدي لاية مسؤولية اجتماعية لان المنصب والجاه والامتيازات الأخرى التي يتمتع بها علماء الدين من أقوى فخوخ الشيطان واصعب شراكه وان النفس الأمارة بالسوء قدتكون كامنة وخامدة باتجاه ما فإذا حصل ما يثيرها هاجت وأودت بصاحبها لذا تجد الإنسان عندما يدخل الى الحوزة الشريفة تنفتح للنفس مزالق جديدة منها العمامة واللحية والعنوان الذي يكتسبه فيحتاج الى جهد أكبر لمقاومتها فالنفس كالاخطبوط الذي يروى عنه انه كلما تقطع منه ذراعاص تولد له

---

1 - فصلت: ٥٣.

أكثر من ذراع الا من عصم الله سبحانه ولا تغتر بأي عمل قبل ان يذيب الانانية ويمين الاهداف مما سوى الله سبحانه فانه لا قيمة لاي عمل مهما كان عظيماً فينفسه إذ لم يكن مخلصاص لله سبحانه ومقبولاً[2] ولنا في رسول الله (ص) اسوة حسنة وهو اكمل الخلق فقد جاهد نفسه وتعبد لله سبحانه ردحاً طويلا برعاية الله سبحانه حتى بعث بالنبوة ففي الحديث عن الصادق (ع): (ان الله عزوجل ادب نبيه فاحسن بادبه فلما اكمل له الادب قال: (إنك لعلى خلق عظيم)[3] ثم فوض اليه امر الدين والامة ليسوس عباده فقال عزوجل (ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[4]

وان رسول الله (ص) كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس، لايزل ولايخطئ في شيء مما يسوس به الخلق).[5] وقال (ع) في حديث آخر: (فما فوض الله الى رسوله (ص) فقد فوضه الينا).[6]

واعلم ان الخروج الى المجتمع قبل تحصيل السيطرة على النفس الأمارة بالسوء والاخذ بعنانها بما يتضمنه هذا الظهور من مزالق كحب الجاه والتعالي على الآخرين والعجب والرياء والكبر والحسد والمكر سيجعل الانسان فريسة سهلة للشيطان و للنفس الامارة بالسوء وعندئذ يخسر المبطلون وان صور له انه يعمل لله سبحانه وسيقع اجره على الله تعالى(واذ زيّن لهم الشيطان اعمالهم)[7] بل ربما من عليه سبحانه باعماله (قل هل ننبئكُم بالأخسرين أعمالاً* الذي ضلّ سعيهم فيالحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً).[8]

2- وفي الحديث يؤتى يوم القيامة برجال أعمالهم كالجبال فترمى في وجوههم ويقال لهمانكم اردتم بها غير الله سبحانه، والعياذ بالله.
3- القلم : ٤.
4- الحشر:٧.
5- اصول الكافي، كتاب الحجة باب٥٩ حديث ٥.
6- الحديث ١١ في نفس الباب.
7- الانفال : ٤٨.
8- الكهف: ١٠٣-١٠٤.

إن تكميل النفوس وتحليتها بالفضائل الاخلاقية و تتريهها عن الرذائل(قد أفلح من زكاها* وقد خاب من دساها).[9]

جانب مهم في شخصية الانسان المسلم لذا اولته الشريعة كل اهتمام بل جاء في الحديث: (إنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) وقد سمى العمل على تطهير النفس من ادرانها بـ(الجهاد الأكبر) في النصوص الشريفة، وهو واجب عيني إن كان طلب العلوم الأخرى –بما فيها الفقه- كفائياً، ولابدان يقترن العلم بالعمل يهتف به فان اجابه والا ارتجل عنه) وفي حديث آخر: (العلماء رجلان: رجل عالم بعلمه فهو ناج، وعالم تارك لعلمه فهو هالك)،وطالب العلم أولى من غيره بهذه التربية لانه متصدس لتغيير المجتمع وقائم على اصلاحه فكيف ينجح وهو بعدُ لم يفلح في تكميل نفسه فان (فاقد الشيء لا يعطيه).

وما هذه المفاسد التي نعاني منها كالخلاف و البغضاء وتبادل الاهتمامات والتمزق إلا نتيجة النفس الأمارة بالسواء وعدم الامساك بقيادها، والا لو كان الجميع مخلصين لله سبحانه وهدفهم واحد هو رضا الله سبحانه: لتآخوا ولتحابّوا ولشكر بعضهم بعضاً على معاونته اياه في هذا الطريق، اترى لو ان جميع الانبياء – وهم مئة واربعة وعشرون الفاً- جُمعوا في مكان واحد وزمان واحد ماذا ستكون العلاقة بينهم؟ هل الشجار والخلاف كما يحصل بيننا ونحن شرمذة قليلون؟!

الجواب: لا طبعاً لانهم مخلصون ومتآخون فيه، فما اختلافنا اذن الا من اجلدنيا زائلة أو عناوين زائفة كحب الجاه أو حفنة من الأموال تذهب لذتها وتبقى تبعتها، وقد يتدخل الشيطان بمكره فيوهم كل طرف انه على الحق ويصور له من واهمته مبررات مشروعة(كالمصلحة الدينية) يُقنع بها نفسه ويسير وراءها ولا يزداد عنالحق الا بعداًن ولو انصف من نفسه ونظر بعينين مفتوحتين لا بعين واحدة هي عين اهوائه لراى الحق واضحاً.

وتجد اهم شرط بينه المعصومون (ص) في العالم الواجب اتباعه انه مطيع لامر مولاه وصائن لنفسه عن الهوى، والا كيف يهدي غيره ويصلح غيره وهو بعدُ لم يحققهما في نفسه (أفمن يهدي الى الحق احق أمن لا يهدي الا

9- الشمس: ٩-١٠.

ان يهدى فما لكم كيف تحكمون)[10] وينبغي الالتفات الى ان الشخص كلما تعاظمت مسؤوليته وجبان تكون درجة تكامله بمقدارها ومن هنا يجب ان نفسر مصطلح (العدالة) الذي يشترط في الشاهد وغمام الجماعة ومرجع التقليد بدرجات متفاوتة، فالمستوى المطلوب منها في الشاهد ليس كإمام الجماعة وعند هذا ليست كما في مرجع التقليد الذي بيده مصير ملايين المسلمين نفوساً واموالاً واعراضاً وقد ورد في الحديث ما مضمونه: (ان الاسلام عشر درجات اعلاها الايمان والايمان عشردرجات اعلاها الورع والورع عشر درجات اعلاها اليقين) فقد يحل لشخص ما يحرم على غيره بحسب موقعه الاجتماعي، ولنعتبر بما قاله امير المؤمنين (ع) وليطبقها كل منا على موقعه(أأقنع من نفسي ان يقال لي أمير المؤمنين ولعل في الحجاز أو في اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع).

وعلم الاخلاق كغيره منالعلوم- ان لم يكن أولى- باحتياجه الى المعلم العارف بامراض النفس ومسالك انحرافها وعلاج كل منها ويعرف العلامات والاختبارات لتشخيص الداء فيصف الدواء لكل أحد بما يناسبه من غير افراط ولا تفريط، وكانالعلماء السابقون لا يستنكفون من الحضورفي دروس الاخلاقيين الناجحين في تربيتهم للآخرين رغم سمو مرتبتهم العلمية فقد كان للشيخ الانصاري مُربٍّ خاص وكان المجتهدون يحضرون دروس الشيخ جعفر الشوشتري والشيخ حسين قلي الهمداني (قدس الله اسرارهم جميعاً) للوعظ والارشاد واحياء القلوب وتهذيب النفوس وتكميلها.

واذا تعذر المربي الذي من اهم شروطه الصدق والاخلاص فيوجد البديل فيالكتب المعبرة عن سمو مرتبة مؤلفيها ويمكن للمؤمن ان يتربى على يديها، ومن هذه الكتب(جامع السعادات) و(القلب السليم) وغيرها كثير مما كتب في تهذيب النفس وتكاملها في طريق الوصول الى الله سبحانه وهي بمستويات مختلفة يمكن التدرج في الاستفادة منها وتطبيق ما فيها وروح الكتب وخلاصتها احاديث المعصومين وكلماتهم حيث تعد الكلمة ذات السطر الواحد دستور حياة فراجع (نهج البلاغة، وتحف العقول، والمحاسن والخصال، وارشاد القلوب، ووسائل الشيعة/ج١١) وكذا ادعية المعصومين

10- يونس: ٣٥.

كالصحيفة السجادية ودعاء ابي حمزة ودعاء الامام الحسين (ع)يوم عرفة خصوصاً ملحقه ودعاء الصباح والمناجاة الشعبانية.

ان صلاح المجتمع بصلاح علمائه وفساده بفسادهم والعياذ بالله فقد روي في الخصال[11] عن رسول الله (ص) انه قال: صنفان من امتي اذا صلحا صلحت امتي واذا فسدا فسدت امتي، قيل: يا رسول الله (ص) ومن هما؟قال(ص) : الفقهاء والامراء.

والذي افهمه ان علاقة هذين الصنفين بفساد المجتمع وصلاحه ليست بمرتبة واحدة من حيث العلية والمعلولية ففساد العلماء علة لفساد المجتمع وفساد الامراء معلول لفساد المجتمع فيكون فساد العلماء متقدماً برتبتين على فساد الامراء وكذا صلاحهم طبعاً.

ان فساد العلماء يمكن تصوره على مستويين:

الأول: التقصير في اداء المسؤوليات من ارشاد الأمة وتوجيهها والأمر بالمعروف والنهي عنالمنكر الذي هوالضامن لسلامة الأمة من الانحراف (كنتم خير أمة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[12] (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون)[13] وقد أنّب الله سبحانه العلماء على هذا التقصير بقوله: (لو لا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الآثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون)[14] وقد حذر القرآن الكريم والسنة الشريفة من خطر ترك هذه الفريضة المهمة في مواضع عديدة وورد انه من الذنوب التي تديل الاعداء وتمنع من استجابة الدعاء وكفى بذلك شراً ووبالاً.

الثاني: انحراف رجال الدين المتصدين للمجتمع وتغير نواياهم واهدافهم من ربانية مخلصة الى دنيوية محضة وحبُّ الدنيا رأس كل خطيئة وباب الفساد والشرور فيستشري الطمع والاثرة والحسد والبغضاء والخلاف والقطيعة والكيد والمكر وتنشأ هوَّة بعيدة بينهم وبين الأمة فتضل الأمة بضلالهم وقد

11- باب الاثنين، حديث ١٢.
12- آل عمران: ١١٠.
13- آل عمران: ١٠٤.
14- المائدة:٦٣.

قيل: (إذا فسد العالِم فسد العالَم) وهذه هي الطامة الكبرى حيث ينعدم الإخلاص فتنفصم العروة الوثقى وهي حبل الإمداد والتوفيق الإلهي، وقد أكد الأئمة (ع) على اجتناب مثل هؤلاء ونبذهم وعزلهم فعن الإمام الصادق(ع): (إذا رأيتم العالم محباً لدنياكم فاتهموه على دينكم فان كل محب لشيء يحوط ما أحب)، فلنبدأ إذن باحياء القلوب والموعظة وتلاوة القرآن(ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق لا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبلُ فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثيرٌ منهم فاسقون).[15]

انه من المؤسف حقاً استهداف ما سوى الله سبحانه من مال أو جاه أو تسلط وقد علمنا علم اليقين حقارة ذلك مقابل ما اعد الله للمخلصين من عباده خصوصاً لطلبة العلم والعلماء والمرشدين ويكفي حديث واحد مضمونه (لا ينبغي لحامل القرآن ان يرى ان احداً قد حصلعلى خير مما حصل عليه) راجع للمزيد كتاب اصول الكافي فضل العلم.

الاتجاه الثالث: في الرعي الاجتماعي فلا بد من اتصاف الحوزوي بالوعي والحس المرهف لما يجري حوله والبصيرة فيما يدور في المجتمع من مشاكلوفتن وشبهات تعصف به وتبلبل افكاره تحت شتى العناوين مستفيدة من الجهل المتفشي بين ابناء الأمة وان يكون عارفاً باسلوب مواجهتها وتحصين الأمة منالوقوع فيها وتنبيهه الى الأخطار المحدقة به التي تريد ان تسلب اعز ما عنده دينه وكرامته وعزّته ومبادئه(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهوائهم بعد الذي جاءك من العلم مالك منالله من ولي ولا نصير)[16] ولا بد ان يتحرك نحو المجتمع في حدود الفرصة المتاحة لا أزيد منها لانه افراط والقاء للنفس في التهلكة وتهور ولا أقل منها لانه تفريط في الواجب وتقصير ولا مبالاة وقد أخذ على العلماء الا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم ايلا يسكتوا على ذلك كماورد في الخطبة الشقشقية لامير المؤمنين (ع) ولا ينتظر ان يتحرك المجتمع اليه ويقصده ولربما يشعر بذلك قوله سبحانه: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا

15- الحديد: ١٦.
16- البقرة: ١٢٠.

قومهم اذا رجعوا اليهم)[17] فهم الذين يبدأون قومهم بالانذار وتبليغ الرسالة ولا ينتظرون من المجتمع ان يبتدأهم فضلاً عن الانعزال عنه وترك حبله على غاربه، وإذا وردت أحاديث تحبب العزلة عن الناس فليست بمعنى التقوقع داخل البيوت وإنما بمعنى مباينة المجتمع الفاسد فيتصرفاته وعدم الانصياع إلى تصرفاته وعدم الانسياق معهم واعلان البراءة من انحرافهم وهذه سنة الهية أكد عليها القرآن الكريم(لكم دينكم ولي ديني)[18] ولا ينزلالنصر على عباده المؤمنين إلا بعد التجرد عن موالاة الكافرين و المنحرفين(وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون).[19]

ان المجتمع قد اعطانا كل ما عنده من الجاه والمال والتقديس والتفاني في الخدمة فيجب ان نعطيه كل ما عندنا واذا كنا نأخذ اكثر من حقنا ونعطي الآخرين اقل من حقوقهم فنحن مصداق واضح للمطففين (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون* واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون* إلا يظن اولئك انهم مبعوثون* ليوم عظيم* يوم يقوم الناس لرب العالمين*)[20] فويل لنا عندئذ.

ان من ثمرات الوعي الاجتماعي معرفة وطرح الاساليب المناسبة للتعاملمع الواقع المعاش ورفعة الى مستوى التطبيق الكامل للشريعة لا الهبوط بالشريعة الى مستوى الواقع وتكيفها وفق متطلباته.ويمكن الاستفادة من عدة كتب في هذا المجال منها التي تحدثت عن الأدوار المشتركة للأمة (ع) التي عاشوها في حياة الأمة الإسلامية.

ان العلماء هم حراس الأمة وبتعبير الحديث:

(امناء الرسل وحفاظ الشريعة) فبقدر ما يكونوا يقظين ملتفتين الىما يوجه الى الدين والمذهب من شبهات وفتن مضلة فكرية واجتماعية على يد اعدائه تكون الأمة في أمان وعقيدتها في حصن منيع وإذا غفلوا ونـاموا احتشوها

17- التوبة: ١٢٢.
18- الكافرون: ٦.
19- يونس: ٤١.
20- المطففين: ٢-٦.

الأعداء وعاثوا فيها فساداً وسرقوا منها الأهم من المال اعني دينها وعقيدتها وشرفها وعزّتها وجعلوا أعزة أهلها أذلة.

إذا عرفت معي أهمية هذه الاتجاهات الثلاثة في تكوين شخصية المرشد الديني في أي موقع كان شاركني الاسى والالم لتقصير حوزتنا في بناء هذه المقومات لدى طالب العلوم الدينية فالاتجاه الثاني والثالث غائبان والأول قاصر من حيث المادة المعطاة فلا زلنا نجتر معلومات قديمة ومن حيث الاسلوب فكذلك وغابت دروس مهمة كالفلسفة والرجال والحديث والتاريخ والعقائد والعلوم العصرية التي ذكرنا في موقع آخر مدخليتها في تكوين الشخصية العلمية للمرشدين والمنهجة مفقودة والدراسة بلا ضوابط والحديث ذو شجون لكن يجب ان لا نقتصر على تجرع المرارة والاسى بل نعمل لتلافي هذاالنقص وتداركه وليشد بعضنا أزر بعض والله ولي المؤمنين.

الاهتمام بالقرآن الكريم

النقطة الثانية: الاهتمام بالقرآن الكريم فمن المؤسف حقاً غيابه عن الدروس الحوزوية فقد نظمت بشكل لا يحتاج فيه الطالب الى القرآن الكريم من أول تحصيله الى نهايته ولا يمر به الا لماماً وربما يبلغ مرتبة عالية في الفقه والاصول وهو لا يحسن قراءة القرآن الكريم بشكل مضبوط مما ادى الى اهماله وقلة الاهتمام به وقد تمر الايام والاسابيع ولا تجد طالب العلم يمسك المصحف الشريف ليتلو آياته ويتدبر فيها وهذه مصيبة عظيمة للحوزة والمجتمع، فإن الأمة لا تكون بخير إلا إذا تمسكت بقرآنها واهتدت به واستضاءت بنوره وهوحبل الله المدود إلى عباده والعروة الوثقى التي لاانفصام لها وثقل الله الاكبر معاهل البيت (ع) ثقل الله الاصغر ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابداً، فتقع المسؤولية علىالحوزة أولاً لاخراج القرآن من عزلته واعادته الى الحياة اماماً وهادياً ورائداً للتغيير والاصلاح في النفس والمجتمع.

ان البشرية تعيش اليوم جاهلية جديدة بحسب المفهوم الذي يعطيه القرآن الجاهلية اذ ليست هي فترة زمنية انتهت بطلوع شمس الاسلام بل هي حالة اجتماعية تتردى اليها الأمة وينتكس اليها المجتمع كلما اعرض عن شريعة الله سبحانه (افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكماً لقوم

يوقنون)[21] وقد نبه القرآن الكريم الى حصولها حينما قلل: (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)[22] وكأنه اشعار بوجود جاهلية ثانية هذه التي تعيش البشرية اليوم شؤمها وتتعاستها بل جمعت جاهلية اليوم مساوئ الجاهليات القديمة جميعاً فالقوي ياكل الضعيف و اللواط يسنذ بقانون رسمي يجيزه ويرتضي الزواج بينالذكرين والزنايفوح برائحته الكريهة وهمجيته الحيوانية في كل ارجاء العالم والبخسفي الميزان واتخاذ الاحبار والرهبان اراباباً من دون الله يحرّمون ما أحلّ الله ويحلّون ما حرّم والآلهة التي تعبد من دون الله سبحانه قد تعدّدت وما زالت الذهنيات الشيطانية تتفتق عن المزيد، وشياطين الجن والأنس تصدّ عن صراط الله المستقيم (لاقعدّن لهم صراطك المستقيم* ثم لاتينهم من بين ايديهم و من خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين*)[23] (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً)[24] كل هذه من سمات وعلامات الجاهلية في كل زمان ومكان فما احوجنا إلى القرآن لينقذنامن حضيض الجاهلية إلى قمة الاسلام وقد جاء في الحديث ما مضمونه: (ان أواخر هذه الأمة لا يصلح غلا بما صلح به أوائلها) وقد صلحت اوائلنا بالقرآن فلنأخذبه فانه شفاء ونور وهدى ويصد عن العمى والضلالة، ولنكرس جهدنا في الاستفادة من قابلية القرآن وقدرته على علاج امراض البشرية والارتقاء بها في سلمالكمال فان القرىن خالد وحي ومعطاء الى يوم القيامة ومن خلوده قدرته على تشخيص الداء وتقديم الدواء لكل مجتمع في كل زمان ومكان، ومن خطل تفكير هذه البشرية الضالة انها اذا عطل عندها ابسط جهاز أو اصابه خلل فانهم يراجعون في اصلاحه صانع الجهاز وعندما تصاب هذه البشرية التي هي اعظم المخلوقات واشدها تعقيداً بالانحراف يلتمسون العلاج من نفس المريض ولا يأخذون وصفة العلاج من خالق الانسان العظيم وهو هذا القرآن الكريم وسنة رسول الله (ص) وسيرة أهل بيته العظام(ع).

21- المائدة: ٥٠.
22- الاحزاب: ٣٣.
23- الاعراف: ١٦-١٧.
24- الاعراف: ٨٦.

وما علينا الا ان نستشير كوامن القرآن ونلتمس منه دواء دائنا فاذا اصيب المجتمع بالتمزق والتشتت فاقرأوا عليهم قوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)[25] وإذا اصيبوا بالجبن والخورفعلاجهم: (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة)[26] (قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم)[27] وإذا شكونا من سوء الادارة والتصرفات في الحوزة فلقرأوا: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم- وهي حواشي المراجع- لا يألونكم خبالا)[28] وإذا مررنا بصعوبات في الحياة ومصائب ومشاق فالتمس الطمانينة والسكينة والتسلية في قوله تعالى: (الم* احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون*)[29] و(ذلك بأنهم لا يصبهم ظمأ ولا نصبولا مخمصة في سبيل الله ولا يطاون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلاً الا كتب لهم به عمل صالح ان الله يضع اجر المحسنين* ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كسرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون*)[30]

واقرأ: (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولم يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب)[31] وإذا شعرت الأمة بالاحباط واليأس فعلاجه قوله تعالى: (ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون)[32] و(من يقنط من رحمة ربه الا الضالون)[33] واذا القينا مسؤولية الانحراف والظلم على غيرنا أوعلى الزمن فاقرأ: (وما اصابك من سيئة فمن نفسك)[34] (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)[35] (وما ظلمهم

25- آل عمران : ١٠٣.
26- النساء: ٧٨.
27- الجمعة: ٨.
28- آل عمران: ١١٨.
29- العنكبوت: ١-٢.
30- التوبة: ١٢٠-١٢١.
31- البقرة: ٢١٤.
32- يونس: ٨٧.
33- الحجر: ٥٦.
34- النساء:٧٩.

الله ولكن أنفسهم يظلمون)[٣٦] وإذا انصاع الناس وراء الكثرة الكاثرة مما يسمى اليوم بالسلوك اليوم بالسلوك الجمعي أو الشياع أجابهم القرآن: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)[٣٧]

(وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتّبعون إلا الظن وان هم إلا يخرصون)[٣٨] (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)[٣٩].

حفظ الوحدة الإسلامية

النقطة الثالثة: ومن الأهداف المهمة التي يجب على الخطباء(سددهم الله تعالى) تكريس أنفسهم لها: صيانة وحدة الحوزة و المجتمع والعمل على تحقيقها والوقوف بوجه كل المحاولات التي تؤدي الى تمزيق شمل الامة.

ان الاختلاف بوجهات النظر لا يستلزم التناحر والتشاجر ومن ثم التكفير وربما الحكم باستحقاق القتل، ان الاختلاف بالرأي سنة جارية بين ابناء البشر وقد قص القرآن شواهد على ذلك حتى بين الانبياء وهم معصومون من الخطأ فعندما عبدت بنو اسرائيل العجل وكان موسى(ع) غائباً فلم يتخذ أخوه غائباً فلم يتخذ أخوه هارون(ع) غجراءاً حاسماص خشية تفرق بني اسرائيل (ولما رجع موسى غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليهن قال ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين)[٤٠] وفي موقع آخر(قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي

35- الرعد:١١.
36- المائدة : ١١٧.
37- يونس: ١٠٣.
38- الانعام:١١٦.
39- يونس:١٠٦.
40- الاعراف:١٥٠.

اني خشيت ان تقول فرقت بني اسرائيل ولم ترقب قولي)[41] فنفى السامري واحرق العجل.

ان اساس اية وحدة يقوم على أمرين:

١- احترام كل من الطرفين وجهة نظر الاخر ما دام الطرف الاخر مقتنعاً بها بالحجة المعتبرة عنده (لا اكراه في الدين)[42] وحساب كل طائفة على الله سبحانه ولسنا نحن أولاياء أمور الآخرة (وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليكم حكيم)[43] و(ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون)[44] وإذا لم تكن الأمر لرسول الله (ص) فكيف يكون لنا تكفير من يخالفنا الرأي ولا يشاركنا في قناعاتنا قال تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل* لاخذنا منه باليمين* ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من احد عنه حاجزين*)[45].

٢- التركيز على نقاط الالتقاء وغض النظر عن نقاط الاختلاف ولا شك ان نقاط الالتقاء كثيرة وتجمعنا اواصر عديدة هي اهم بكثير من المسائل الفرعية التي نختلف فيها.

وقد نهى الاسلام عن التنابز بالالقاب وقذف الآخرين بالصفات المشينة وهي توجب للقاذف ثلاثة آثار:

١- الجلد ثمانين. **٢- الحكم عليه بالفسق.**

٣- عدم قبول شهادته.

فلنتق الله وليصُن بعضنا سمعة بعض وعرضه وشرفه وكرامته خصوصاً المتصدين للمنابر حيث تتلقف الجماهير منهم الكلمات بسرعة فمن اتقى واحسن فسييسره الله للحسنى ومن اساء فان له معيشة ضنكا ويحشره الله

41- طه: ٩٣.
42- البقرة:٢٥٦.
43- التوبة: ١٠٦.
44- آل عمران: ١٢٨.
45- الحافة: ٤٤-٤٧.

يوم القيامة اعمى و عليه وزره ووزر من تسبب هو في ضلاله وليعلم الجميع ان وحدة المجتمع من وحدة الحوزة وتفرقه من تفرقها ولنتأدب بادب أمير المؤمنين (ع) عندما سمع اثنين من اصحابه يشتمان معاوية واصحابه فنهاهما عن ذلك فقالا: اولسنا على الحق؟ قال: بلىٰ ولكن اكره ان يكون اصحابي سبابين شتامين، قالا: إذن ادبنا بادبك يا أمير المؤمنين، قال ما مضمونه: بينوا لهم وجه الحق ليعرفوا اهله والباطل ليعرفوا اهله.

ان من اسباب الفرقة و التشاق التعصب لشخص أو اتجاه معين وهو سلوك باطللانالتعصب يجب ان يكون للحق، ولنتأمل طويلا في قولهم(ع): (لا يعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف اهله) فليس الرجال معياراً لمعرفة الحق بل الحق معيار لتقيم الرجال ان تقديس الذات شكل من اشكالالعبادة والشرك والمبتلى بها يعمى عن رؤية الحق لان هذا التقديس يحجبه عن الرؤية الصحيحة.

والداهية العظمى سريان هذا الداء الى ابناء المذهب الواحد بل إلى افراد الحوزة نفسها التي يفترض ان هدفها واحد ومصيرها واحد وولائها واحد لكن هذه الوحدة التي كان لها مركز هو ولاية أمير المؤمنين(ع) وتشرذمت الى ولاءات شخصية متعددة ولم يُعد أحد يفكّر بولائه الأصلي لله ورسوله ولامير المؤمنينبل لفلان وفلان ونشأت الفرق والأحزاب و(كل حزب بما لديهم فرحون)[٤٦] وتراهم يدعون الى الوحدة مع بقية مذاهب المسلمين بل مع البشرية جميعاً وهو شيء حسن دعانا اليه الاسلام فالناس صنفان اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق-على تعبير أمير المؤمنين(ع)- لكن لماذا ننسى هذا الشيء فيما بيننا نحن ابناء الحوزة والمذهب الواحد انه للعجب العجاب!! ايكفي مبرراً لذلك ان فلاناً رأى تكليفه ان يفعل كذا مما يراه الاخر تهورا وان فلانا رأى تكليفه ان يفعل كذا مما يراه الآخر تقصيراً وتخاذلاً.

ان جعل الهدف هو الأشخاص ينافي الاخلاص أولاً ويشوش الرؤية ثانياً وهو الخلط الذي وقع فيه المسلمون في صدر الاسلام عندما قارنوا علياً(ع) بغيره فقالوا كلّهم من السابقين للاسلام وبدريون واحديون وغيرها من الصفات ولئن تفوّق علي (ع) ببعضها فلم يجدوه فرقاً كبيرا فضاعت الحقيقة في ضبابية هذه الرؤية ولكنهم قارنوا بين فكرتين ومبداين أحدهما يقول ان

46- المؤمنون: ٥٣، الروم:٣٢.

الإمامة منصب الهي لا يعرف مستحقه الا العالم بالسرائر الذييحول بين المرء وقلبه وهو اقرب اليه من حبل الوريد وبين يديه قوله تعالى(وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة)[47] ومقتضاه ان تكون الإمامة لعلي (ع) وبنيه المنصوص عليهمن وثاني المبدأين يقول انها بالاختيار فهي متروكة للبشر يغلب القوي منهم الضعيف حتى آلت إلى من اشتهر فسقهم وكفرهمز ولا اعتقد ان احداً يتردد في اختيار احد الطرفين بينما عندما كان النزاع بين شخصين لم تكن النتيجة بهذا الوضوح.

فليكن حوارنا مبنياً على اسس وموازين علمية بعيداً عن التحزيات والاهواء والولاءات الشخصية لكن لا نفقد الرؤية الصحيحة(اللهم ارني الحق حقاً وارزقني اتباعه والباطل باطلاً وارزقني اجتنابه ولا تجعله علي متشابهاً فاتبع هواي بغير هدى منك).

إن هذه الدعوة للم الشمل لا تعني المداهنة في أمر الله سبحانه وانما الذي، اقوله هو نبذ العنف والتفسيق والتكفير والسب والشتم وتبادل التهم والتعويض عنه بلغة الحوار والادلاء بالحجة (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيَّ عن بينة)[48] وقد دعانا القرآن لذلك مع الكفار فضلاً عن الأخوة المؤمنين (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)[49] (قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي)[50] (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)[51] و ان الذي يلجأ إلى العنف هو من لا حجة له فيصمّ اذنه عن سماع الحق كما كان يفعل المشركون والكفار عند مواجهة الانبياء والرسل لهم بالهدى والبينات اما المؤمن فهو قوي بحجته وإيمانه لا يتزلزل والقرآن الكريم حافل بالحوارات بين المؤمنين والكافرين فلنتأدب بادبه.

ثم ماذا ينتظر الخائضون في هذه الفتن غير سقوطهم جميعاً بسبب ما يكشف بعضهم من زيف البعض الآخر وما يلقى عليه من اتهامات وشكوك ولك ان

47- النخل: ٦٨.
48- الأنفال: ٤٢.
49- البقرة: ١١١.
50- هود:٢٨٣.
51- النحل: ١٢٥.

تتصورالنتيجة عندما يسقط جميع العلماء من اعين المجتمع فتبقى الأمة بلا قيم عليها تسير بغير هدى ففي خطبة الزهراء (ع) عندما ذكرت بعضاً من اسرار التشريع قالت (ع) ما مضمونه: فجعل طاعتنا نظاماً للملة وامامتنا اماناً للفرقة (راجع كتاب الاحتجاج)، ان هذه المؤامرة خطرة وقذرة لا يشعلاوراها إلا جاهل أو مرتزق.

ان المؤمنين الحقيقي إذا بلغه نقد أو توبيخ نظر فان كان الذي قيل موجوداً فيه حمد الله تعالى على هذه النصيحة والهدية الثمينة وسعى في تجاوز هذا الخطأ وعلاجه خصوصاً إذا كان صادراً من مؤمن وان لم يكن فيه حمد الله على السلامة ولا يرد الصاع صاعين كان أمير المؤمنين (ع) لا يغضب لنفسه ولا يتأثر لها وانما يغضب لله وللحق وله كلمة في ذلك اني اسكت ما دام الظلم محدقاً بنفسي فقط ولا يتعداها الى الحق وموقفه من عمر بن عبد ود فيمعركة الخندق في الرواية المشهورة.

ان أهم مشاكلنا عدمالتمييز بين الاعداء والاصدقاء فهذه النفس الامارة بالسوء هي اعدى اعدائنا ـكما في الحديث- وهي في داخلنا وبين جنبينا فهل انتهينا من قهرها حتى نتفرغ لمعاداة الآخرين.

يجب اننلتفت ان المخالفين لنا في الرأي على صنفين:

الأول: وهو مجرد مخالف لنا في الرأي فهذا الذي ننظر إلى نقاط الالتقاء معه ونغض النظر عن نقاط الخلاف، وما لم نعاديه فانه لا يعادينا.

الثانيك الذي لا يكتفي بمجرد المخالفة وانما يتربص بنا الدوائر ويقف حجر عثرة في طريق الاصلاح ومهما حاولناثنيه عن ذلك لا ينهني، فهذا الذي نعاديه إذا استفدنا كل الطرق للتقارب معه.

وبهذا التصنيف نستطيع ان نفهم طائفتين من الايات الشريفة:

الأولى: مثل قوله تعالى: (لا اكراه في الدين)[٥٢].

والثانية: (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم)[٥٣] (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار)[٥٤].

52- البقرة: ٢٥٦.
53- البقرة: ١٩٥.
54- التوبة: ١٢٢.

انتماء المنبر للحوزة.

النقطة الرابعة: جعل المنبر عموماً والمنبر الحسيني خصوصاً تحت اشراف الحوزة فانه اوسع ابواب الاتصال بالمجتمع واشدها تأثيراً في النفوس لانه يستمد قدسيته ومكانته من صاحب المناسبة، وقد فقدت الحوزة هذه القناة المهمة حين تخلف عنه وتركته بيد متطفلين همّهم تحصيل الأموال واستدرار الدموع ولو بالروايات المكذوبة التي تسيء الى أهل البيت(ع) وعلّو منزلتهم.

وفقد المنبر هو الآخر اهميته وهيبته في المجتمع بسبب هذه النظرة له وعدم توفر غطاء من الحوزة له، فاذا كسبت الحوزة المنبر الحسيني استطاعت تسخير هذه القناة لاسماع صوته وقطعت الطريق امام المرتزقة والجهلة وشجعت ذوي الكفاءات في هذا المجال على السير فيه باطمئنان لانه سيرى الضمانات التي توفرها له الحوزة بدلاً من القلق على مستقبله والحرص على تكثير المجالس لتوفير المال مما يؤثر على جودة عطائه.

كما ان المنبر سيمتلك قوة في التاثير يستمدها من السلطة الروحية للحوزة ومن القابليات العلمية التي ستتصدى له وهذه من النقاط التي جعلت قوة التأثير لمنبر الجمعة اكثر من المنبر الحسيني.

وان خطباء المنبر ليستطيعون أكثر من اية وسيلة أخرى على شد الناس إلى مرجعيتهم والالتفاف حولها وطاعتها كما تستطيع على العكس من ذلك هزّ سمعة المرجعية والتشكيك فيها والنيل منها وتنفير الناس عنها.

وتحصل هذه الرعاية من لدن الحوزة بانشاء درس لتعليم فن الخطابة ومقوماته ومؤهلات الخطيب وكيفية اعداد الخطبة والمحاور التي ينبغي ان يدور الحديث عنها، ثم تعقد جلسات اسبوعية يرتقي الطلبة فيها المنبر ليتعلموا ويتدربوا ولتكون فرصة لتوجيههم وبيان نقاط القوة والضعف فيهم ويزوّد الخطيب الناجح بشهادة اعتراف وتاييد من قبل الحوزة العلمية وتقدم له الضمانات المالية كبقية طلبة الحوزة كما تقدم له الدعم المعنوي بالدعوة الية الترويج لاسمه وتوجيهه الوكلاء في مختلف المدن الى التزامهم

والتعامل معهم.

الخطابة النسائية

النقطة الخامسة: ان اصلاح (الخطابة النسائية) اذا صح التعبير وتهذيبها مشمول بما قلناه بل الحاجة فيه اشد لانها ما زالت متخلّفة وبعيدة عن الهدف فتحتاج الى نهضة قوية واذا كان منبر الرجال قد تقدم خطوات بتصدي الحوزة له فان عدم وجود حوزة للنساء يجعل المنبر النسائي متأخراً، من هنا تدعو الحاجة الى حث المرأة على التوجه الى الدراسات الدينية فان قضايا المرأة عندما تتصدى لبيانها ومعالجتها امرأة تكون ادق واصوب وادعى لانفتاح النساء عليها، فليبدأ اخواني الطلبة الذين منهم تكون البداية وعليهم تقع المسؤولية بتثقيف زوجاتهم واخواتهم وبناتهم ومن يليهم من النساء حتى اذا اطمأنوا الى قدرتهن على ايصال العلم الى غيرهن وقروا لهن هذه الفرصة من خلال مجالس التعزية أو حفلات الزواج وسائرالشعائر الدينية والمناسبات الاجتماعية.

ان تخلّف المرأة يعني تخلف نصف المجتمع بل كل المجتمع لانها المدرسة الأولى التي تحتضن الطفل وترعاه وتربّيه فإذا كانت متعلمة متدينة سهّلت المسير لابنائها نحو الكمال.

وعلى الكتّاب والمثقفين وحملة العلم ان يولوا هذا الجانب من هو جدير به من الاهتمام فيضعوا المناهج المناسبة التي تأخذ بيد المرأة وعدم الاكتفاء بما هو موجود لان الشعور بالمسؤولية والاندفاع نحو التطبيق تجاه الكتب المخصصة لها ولاية شريحة في المجتمع يكون أكثر بشكل ملحوظ مما لو كان الكتاب عاماً ويخاطب المجتمع فيتعب الشخص نفسه وهذا هو أحد المبررات المهمة التي تدفعنا الى انشاء (الفقه المتخصص) شأنه شأن سائر العلوم التي تعمقت وتوسعت بانشاء التخصصات فيها.

مكونات مادة الخطبة

النقطة السادسة:

ان اختيار مادة الخطبة لا ينبغي ان يكون اعتباطياً ووفق ما تشتهيه نفس الخطيب أو ما يشعر انه يحسنه أو يتبارى لاظهار القدرات المختلفة حتى يقال عنه انه ماهر وانه ناجح أو انه وجد ذلك في الكتاب الذي امامه فنقله الى الجمهور فكل هذه اهداف تنافي الاخلاص وهي بعيدة عن الهدف الحقيقي وقد يسيء صاحبها اكثر مما يحسن من حيث يشعر أو لا يشعر وقد ولى زمان (الترف الفكري) حيث لا تمثل المجالس-في احسن صورها- الا كما من المعلومات التي تغذي العقل لا الروح ولا تترك اثراً على السلوك حتى لو دأبت على حضورها سنين طويلة ولا تنفع الا كثقافة عامة لا ازيد ولو لا ارتباطها بقضية الحسين (ع)ن لما كان فيها أي منفعة، فلابد من تحديد المحاور والخطوط العامة التي تندرج فيها الخطب بالامور العريضة التالية:

١- ترسيخ العقائد الحقة ومحاولة الاستدلال عليها بامور وجدانية أو برهانية مبسطة ورد الشبهات لموجهة ضد الدين أو المذهب و التي علقت في اذهان العامة من دون اثارة شبهات واشكالات جديدة لا توجد الا في بطون الكتب وعقول السفسطائين فقد تنقدح الشبهة في اذهان الجالسين ويصعب ردها وازالتها فيتحمل الملقي مسؤوليتها (ومن كسر مؤمناً فعليه جبره).

٢- نشر فضائل أهل البيت (ع) وبيان حقهم وادوارهم في حياة المسلمين وعملهم على ترسيخ دعائم الاسلام الحقيقي وما عانوه من مصائب وويلات في سبيل الله سبحانه واستعراض سيرتهم خصوصاً في مناسباتهم (ع) وعدم الاكتفاء بالسرد التاريخي بل لابد من استخلاص العبرة واستلهام الدروس.

٣- ما ذكرناه من الاستفادة من القرآن فيبعث الهمة لدى المجتمع وتحفيزه الى طاعة الله سبحانه ونيل رضاه ومعالجة مشاكله وادوائه والاهتداء بهديه واستلهام الدروس منه في الاصلاح النفس والمجتمع ولنأخذ من سيرة رسول الله (ص) درساً فانه طيلة مكثه في مكة وهي ثلاث عشرة سنة كرس عمله لترسيخ العقائد وتصفية النفوس ووعظ القلوب بما ينزل عليه القرآن من مشاهد يوم القيامة

وعاقبة المؤمنين والكافرين وآيات الله تعالى في مخلوقاته وقصص الأمم السالفة لبيان سنن الله في خلقه حتى انقادت له(ص) القلوب والنفوس قبل الابدان وعلم منهم الصدق و الطاعة والتضحية حمّلهم التشريعات فاستسهلوا امرها رغم ثقلها وتستطيع ان تخرج بهذه النتيجة عن طريق المقارنة بين القرآن المكي والمدني.

٤- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والنقد البناء لاي سلوك منحرف فان هذين الواجبين هما صمام أمان المجتمع المسلم ولو التزمت الأمة بها لنالت خيراً كثيراً ولأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وتركهما يعني انحدار الأمة وانهيارها وبالمقابل فان النتائج المترتبة عليهما لا يحققها أي عمل آخر، كما ان المفاسد والشرور المترتبة على تركهما عظيمة قلما يوجد نظيرها في ترك غيرها والقرآن والسنة حافلان بالحث عليهما والتحذير من التفريط فيهما، بل جعلا ميزة هذه الأمة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[٥٥] عكس الأمم السابقة التي ذات وبال تركها(كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون* ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون* لو كانوا يؤمنون بالله والنبي ما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون*)[٥٦] وهما –كما في الحديث- لا يقرّبان أجلا ولا ينقصان رزقاً ولم يخرج الحسين (ع) غلا لهما (اني ما خرجت اشراً ولا بطراً ولا مفسداً وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي محمد(ص) لآمر بالمعروف وانهى عن المنكر) وليكن تطبيقها في ضوء ادب القرآن (ادع الى سبل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن).[٥٧]

55- المائدة: ١١٥.
56- المائدة: ٧٩-٨١.
57- النحل: ١٢٥.

لا بالتعنيف والزجر واللوم والتقريع فان المجتمع كما يضم بعض السلبيات كذلك فان فيه بعض الايجابيات فليكن الخطيب منصفاً في عرضهما على المجتمع (ولا تبخسوا الناس أشياءهم)[58]

٥- التأكيد على ارتباط المجتمع بالحوزة وان لا يخطوا خطوة ولا يفعل امراً ولا يحل عقدة الا بعد ان يعلم رأي الحوزة لأن العلماء (امناء الرسل وحفاظ الشريعة) وهم (ورثة الأنبياء) وهم –على تعبير الإمام الصادق (ع) (حجّتي عليكم وانا حجة الله والراد عليهم كالراد علينا) ان عامة الناس يقودها الهوى وتسوقها العاطفة وعقلها العلماء المخلصون فإن قدمّوهم افلحوا وان تخلّفوا عنهم أو املوا عليهم ارادتهم وارغموا علمائهم على ان يسيروا وفق اهوائهم ضلوا فالعلماء عقل الامة المفكر والخطباء وطلبة العلم عيونها والمجتمع هو اليد واليد تنفّذ وتُدافع وتساعد واي اختلال في توزيع الادوار يؤدي الى الفشل.

٦- الوعظ وتهذيب النفوس وارشاد القلوب واحياءها ففي وصية الإمام امير المؤمنين (ع) لولده الحسن (ع): (يا بني احيي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة) وورد الحث الكثير على ان تجعل زادك الموعظة فان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها في ذكر الموت وتلاوة القرآن وتوجد كتب نافعة في الموعظة كإرشاد القلوب للدليمي ونهج البلاغة فكم سيكون المجلس نافعاً لو كرسته لتتلوا على الجالسين خطبة أمير المؤمنين في وصف المتقين وتطلب منهم ان يطبق كل واحد منهم فقرات الخطبة على نفسه ليرى كم من تلك الصفات متحققة فيه.

ان هذا الجانب من الجوانب المهمة التي خلت منها مجالس (الترف الفكري) وقد كان السلف يهتمون بها لذلك تجد القلوب عامرةبالايمان والارواح تسمو في افق الكمال حتى ضاعت في المدارس الحديثة للخطابة وصرت لا تسمع الا ىية فيها عدة بحوث وفي كل بث عدة اقوال فيخرج المستمع خالي الوفاض من أية فائدة روحية يفترض ان المنبر قد اسس لها إلا من ذكر أبي عبد الله (ع) الذي هو سر النجاح والبقاء والديمومة.

58- الاعراف: ٨٥.

٧- بيان الأحكام الشرعية والمسائل التي يكثر الابتلاء بها وتصحيح العبادات والمعاملات التي لا توافق الشريعة وتهذيب الواقع المعاش وفق القانون الالهي.

٨- الاستفادة من المادة التاريخية خصوصاً تاريخ صدر الاسلام لانه الاساس الذي نشأت من اختلاف احداثه الفرق والمذاهب المتعددة فلا بد من دراسته وفحصه بعمق وتحقيق حتى يتبين الرشد من الغي ويعرف الحق لأهله.

الملكات النفسية والعقلية للخطيب.

النقطة السابعة: ومن مقومات شخصية الخطيب بعض الملكات النفسية والعقلية ومنها:

١- الثقافة الواسعة والاطلاع العريض على مختلف حقول المعرفة من تاريخ و ادب وعلوم عصرية وتفسير وسِيَر اضافة الى العلوم الحوزوية وسائر ما يتربط بمهمته، وان تكون معلوماته دقيقة و مأخوذة من المصادر الموثوقة ولو بان يتعب نفسه في تحقيقها وان يكون مستحضراً لمعلوماته حتى لا تخونه الذاكرة.

٢- الاحساس المرهف والنظرة الصائبة لما يدور في المجتمع وتعانيه الأمة وتشخيص مشكلاتها وتلمّس العلاج لها.

٣- الشجاعة والجرأة والحزم حتى لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يخشى في الحق شيئاً.

٤- سعة الصدر فانه آلة الرئاسة ليستطيع استيعاب الناس بمختلف مستوياتهم واتجاهاتهم وقد امرنا بمداراة الناس وينبغي ان يتنازلعن انانيته ويتمتع بنفس كبيرة فيتقبل النقد والتوجيه.

٥- الاخلاص والصدق فيما يلقيه فان ما يخرج من القلب الى القلوب ويؤثر في المستمعين وما يخرج من اللسان لا يتجاوز الاذان ولأمير المؤمنين (ع) بهذا المضمون: (اني ما دعوتكم إلى طاعة الا كنت أو من يؤديها ولا نهيتكم عن معصية الا وكنت أو من يؤديها ولا

نهيتكمعن معصية الا وكنت او من يجتنبها)،فعلى الخطباء ان يكونوا امثلة تطبيق لما يقولون (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون* كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون*)[٥٩]

٦- جودة الحفظ فان المجلس او الخطبة التي يلقيها تتطلب تعزيز الافكار بالشواهد من الآيات الشريفة والاحاديث والشعر النافع المؤثر.

٧- حسن الصوت وفصاحة اللسان وعذوبة البيان ويمكن تحسينها كسائر الملكات بالممارسة المستمرة والاطلاع على النصوص الكثيرة وحفظها والتطبع بها.

٨- معرفة ما يناسب الحال وعدم تجاوزه فلكل مقم مقال وان تكون له المهارة في التقلّب بين التصريح والتلميح، ويتطلب ذلك ذكاءاً شديداً وفراسة صائبة وبديهية سريعة يعالج بها المواقف المفاجئة.

٩- التنزه عن متاع لدنيا الرخيص، وعلو الهمّة والرغبة بما عند الله سبحانه فان النظر الى ما في ايدي الناس والسعي الى تحصيلالمال ينافي الاخلاص اولاً ويضعف من تأثير الخطباء في النفوس.

١٠- إجادة طرق الرثاء وحفظ المرثيات المشهورة حتى يتفاعل الجمهورمعها وتؤثر فيه مباشرة لذا تجد تجاوب المستمعين ضعيفاً مع ما لم تألفه اذهانهم.

١١- المحافظة على وحدة الموضوع مهما جرّته بعيداً التفريعات والاستطرادات ويستعين على ذلك باعداد الموضوع مسبقاً وتثبيت رؤوس افكاره وخطوطه العامة في ورقة صغيرة يراجعها ويستحضر بها تفاصيل مجلسه.

١٢- ضبط قواعد اللغة العربية فان الاساءة في تطبيقها يؤدي الى اشمئزاز المستمعين ونفور نفوسهم عن الاستماع مما يضيع جهده.

١٣- تدقيق الآيات الكريمة وضبط نصوصها قبل الاستشهاد بها فن الخطأ فيها يعدُّ ذنباً كبيراً.

59- الصافات: ٢-٣.

تحييد المنبر

النقطة الثامنة: (تحييد المنبر) وعدم اتخاذه واجهة لأية جهة دينية أو اجتماعية ابتداءاً من على جهة وهي المرجعية وانتهاءاً بما دونها وجعله معبراً عن المذهب كله وموصلاً لصوت الحوزة جميعاً فان من شأن نحيازه الى شخص ما أو جهة ان يحّجم دوره ليصح مقتصراً على فئة معينة مضافاً الى ما يحدثه من تذويب للأهداف الرئيسية العامة في مصالح شخصية خاصة، بل يؤدي الى التشتت وجرّ الفئات الأخرى الى معارضته والعمل على إفشاله لانه يرى انه يصبّ في مصلحة غيره، فالنجاة من هذه السلبيات بالارتقاء باهدافه فوق الانانية والاهواء الشخصية والولاءات الهاشمية.

عدم التعرض إلى ما يؤدي إلى انتهائه.

النقطة التاسعة: تجنيب وابعاد ليس المنبر فقط وانما الحوزة كلها عن كل ما يؤدي إلى الاضرار به أو انهائه وعدم اعطاء الذريعة والمبرر لتعطيله كالتعرض إلى السياسة فان مثل هذه التصرفات تكون تهوّراً واضرار بلا نفع ويتحمل تبعتها من يشعل فتيلها ولا ينبغي لعاقل ان تقوده العاطفة وتسيّره الاهواء ولا يفعل الا ما يراه حجة بينه وبين ربّه.

كيفية اعداد الخطبة

النقطة العاشرة:ان اعداد الخطبة لا يقلّ اهمية عن كتابة ي بحث يتناول موضوعاً معيناً أو يعالج مشكلة فلا بد ان تتوفر في الخطيب القدرة على الكتابة والتأليف وعرض الافكار بشكل متكامل ويتطلب ذلك ممارسة طويلة وجهداً مضنياً وبحثاً واسعاً.

وأول خطوة تكون بتحضير عنوان الموضوع الذي يريد ان يتناوله ولا بد ان يندرج ضمن المحاور التي تقدم ذكرها وان يكون من الواقع المعاش ثم يفحص عمّا يخصه في كتاب الله وسنة رسوله (ص) وأهل بيته ثم يجمع اراء المفسرين والكتاب والعلماء في هذا الموضوع ويستخلص من الجميع مادة الخطبة ويعزّزه بالشواهد والاحداث التاريخية والادب العربي والقصص

الهادفة ومن خلال ذلك يتلّمس آية كريمة يجعلها عنوان بحثه ومفتتح مجلسه و بقصيدة من الادب الرفيع الذي يتذوقه الجمهور ان كانت المناسبة تخص ذكريات أهل البيت (ع) أو خطبة مناسبة من نهج البلاغة أو كلمة مأثورة ثم يبدأ بالقاء البحث حتى يخلص إلى مصاب أبي عبد الله (ع) بحسب ما أوتي من مقدرة وفن.

ومن الغريب ما ذكره بعضهم أن تبدأ حين إعداد الخطبة بتعيين الآية ثم تفتش عن تفسيرها والأقوال فيها إلى آخر ما قال وكأن المقام درس تفسير حيث أتخذ الآية غاية وهدفاً والمفروض جعلها وسيلة لتعزيز الفكرة إن هذا الكلام من يسير على غير هدى وليس له وضوح في الهدف.

نصائح عامة

١- لا ينبغي للخطيب ان يشترط الأجرة لعدة أمور:

أ- إن قصد تحصيل المال ينافي الاخلاص ومن المؤسف ان يرتضي الانسان هذا الثمن البخس عوضاً عن العطاء الآلهي الذي لا حدود له.

ب- إن ذلك يصغره في عين المجتمع فلا يقبل منه وتنعدم فئدته لانه في نظرهم أجبر يعمل باجرته وليس داعياً إلى الله ومرشداً إلى دينه.

ت- ان الطمع بما في ايدي الناس يصدّه عن بيان الحق ويدفعه إلى مجاملتهم والمداهنة على حساب الحق فيعمل على ارضاءهم لا رضا الله سبحانه وكفى بذلك خسراناً مبيناً.

وقد يحرم خذ الاجرة إذا كان ما يؤديه واجباً كبيان الاحكام الشرعية تعليم الجاهل، واذا اردنا ان نتوسع في الحكم فسنقول بالحرمة مطلقاً لان جميع ما يبيّنه يدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما واجبان وهذا الحكم على مستوى الاخلاقي أكيد وان لم يكن كذلك على المستوى الشرعي.

٢- عدم تكثير المجالس لانها ستؤثر سلباً على عطائه وتمنعه من تطوير الملكات والقابليات وتبقيه في دائرة اجترار القديم وهو نقص طبعاص

وإذا كان عذره سد احتياجاته المادية فقد تقدم بعض الحلول لهذه المشكلة وهي رعاية الخطباء من قبل المرجعية باعتبارهم من افراد الحوزة الشريفة وتوفر حظوظهم كبقية طلبة العلوم الدينية.

٣- عدم تصدّي إمام الجماعة لخطابة باجرة في المكان الذي يؤم الناس لان أخذ الاجرة يجعل يده السفلى والمفروض فيه كإمم جماعة ان تكون يده العليا.

٤- الجدّ والاجتهاد ومواصلة الدراسة والبحث سواء على مستوى الدروس الحوزوية أو العلوم المكمّلة لشخصية ولا يضيع وقته في امور غير هادفة.

محمد اليعقوبي- النجف الاشرف

١٢-١٤/ ذ.ح/١٤٢٠